كوفيد-19 ومجتمع المخاطر العالمي
وتحول الدولة

COVID-19, World Risk Society, and the Transformation of the State

تأليف: Dean Curran

تعريب: أ. عبد الإله فرح - د. مبارك الطايعي

جامعة ابن طفيل بالقنيطرة

المغرب

abdelilah.farah89@gmail.com

كوفيد-19 ومجتمع المخاطر العالمي وتحول الدولة[1]

تأليف: Dean Curran

ترجمة: أ. عبد الإله فرح و د. مبارك الطايعي

ملخص:

تحلل هذه المقالة كيف ضخمت جائحة كوفيد-19 دور الدولة كملاذ أخير للتأمين، على عكس تنبؤات أولريش بيك. فبدلاً من السيطرة الاستباقية، تحولت حوكمة المخاطر إلى تدخلات تفاعلية ضخمة، كما يتضح من دعم البنوك المركزية للأسواق المالية. وتخلص الدراسة إلى أن هذا التوتر بين عجز الدولة عن منع المخاطر العالمية والطلب المتزايد على الأمن يعيد تشكيل الدولة في مجتمع المخاطر العالمي.

الكلمات المفاتيح: كوفيد-19، مجتمع المخاطر العالمي، أولريش بيك، تحول الدولة، المخاطر العالمية، الحوكمة، البنوك المركزية، الأزمة المالية.

ABSTRACT:

This article analyzes how the COVID-19 pandemic amplified the state's role as an insurer of last resort, contrary to Ulrich Beck's predictions. Instead of proactive control, risk governance has shifted to massive reactive interventions, exemplified by central bank support for financial markets. The study concludes that this tension between the state's inability to prevent global risks and the growing demand for security is reshaping the state in the world risk society.

Keywords: COVID-19, World Risk Society, Ulrich Beck, Transformation of the State, Global Risks, Governance, Central Banks, Financial Crisis.

1 . المرجع الأصلي للمقالة:
Curran, D. (2022). COVID-19, World Risk Society, and the Transformation of the State. In P. R. Brown & J. O. Zinn (Eds.), Covid-19 and the Sociology of Risk and Uncertainty: Studies of Social Phenomena and Social Theory Across 6 Continents (pp. 247–268). Palgrave Macmillan.

1- مقدمة:

غدت جائحة كوفيد-19 في أقل من حول ظاهرة كلية مستحوذة. وليس المقصود بكلية هنا أنها باتت تحدد مسار الحياة الاجتماعية برمتها، بل إنها استحالت كلية على غرار ما آلت إليه سيرورات أخرى كبرى كالرأسمالية والحداثة والعولمة (Giddens, 1990)، حتى أمسى من العسير بمكان أن يفسر المرء أي جانب من جوانب الحياة الاجتماعية المعاصرة دون الإشارة إلى وقع هذه النازلة. وإزاء مثل هذه الظاهرة المستحوذة، تنبعث في النفس حاجة ملحة إلى ألا يقتصر النظر على جزء يسير منها، بل أن تقارب الظاهرة في كليتها كي لا يضل المرء في تفاصيلها أو يتخذ منطلقًا جزئيًا عشوائيًا لمقاربة هذه السيرورة الجسيمة. ولكن، من جهة أخرى، فإن هذه الظاهرة، لكونها كلية، تستعصي على أن يتناولها المرء دفعة واحدة.

وفي التصدي لهذه المعضلة، تضطلع النظريات الاجتماعية للمخاطر بدور بالغ الأهمية، إذ تتيح مدخلاً منهجيًا للولوج إلى صميم ظاهرة كلية مثل كوفيد-19، فتُمكِّن من سبر أغوار بعض تجلياتها وقضاياها الجوهرية، دون أن تُلزم الباحث بمحاولة الإحاطة بكل تبعاتها، وهي مهمة تستحيل.

ويبرز نسق مجتمع المخاطر الذي صاغه "بيك" كإطار وثيق الصلة عند النظر في ظواهر المخاطر العالمية الجسيمة، نظرًا لتنظيره لمجتمع مخاطر ناشئ ولتشابكات عالمية مستجدة[1]. إن فهم المجتمع المعاصر، الذي يتزايد طابعه العالمي، من خلال منظور التحولات داخل الحداثة – من حداثة أولى هيمن عليها الصراع على توزيع الخيرات المنتجة اجتماعيًا، إلى حداثة ثانية تتصدرها مشكلات توزيع المخاطر المنتجة اجتماعيًا – يجعل فكر "بيك" يلامس الكثير من المعضلات الجوهرية التي أفرزتها الجائحة العالمية، بما في ذلك التحديات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تطرحها، والفرص التي تتيحها للتحول (Beck, 1992, 1995). وكون أعمال "بيك" تتناول أبعادًا كثيرة من مشكلات كوفيد-19، رغم أنه لم يخض تحديدًا في إشكالية الجوائح العالمية، ليشير مجددًا إلى استمرار أهمية وخصوبة عمله حول مجتمع المخاطر و"مجتمع المخاطر العالمي" الناشئ (Beck, 1992, 1995, 1999)[2].

1- يُنظر في هذا الشأن إلى توز (Tooze, 2020) وغيره ممن ذهب إلى هذه الدعوى.

2- أي أن الحجة هنا تنصب على الجدوى العامة لنسق "بيك" في مجتمع المخاطر، لا على كل أطروحاته الخاصة (ويُنظر في القول بأن مجتمع المخاطر يجب أن يُفهم كنسق أو نموذج لا كأطروحة بعينها، إلى Curran (2016a)) .وكون أعمال "بيك" ما فتئت وثيقة الصلة بمجالات دراسية جديدة يمكن أن يُحمل إما على أنه تعضيد إضافي لنفع عمله، بالنظر إلى قدرته على تبيان عناصر جوهرية في سيرورات لم يكن "بيك" على دراية بها، أو حتى لم يتصورها حين وضع نظريته (يُنظر Lakatos, 1970). ومن جانب آخر، قد يحتج الخصوم، على إثر Popper (2002)، بأن مطواعية نظرية مجتمع المخاطر إنما هي شاهد على قدرتها على الإفلات من الدحض، وهذا قصور معرفي لا مَكمَن قوة. وسيرا على المقولة بأن النماذج لا توصف بصدق أو كذب، بل بنفع أو عدمه، فإن هذا الفصل يتخذ من مجتمع المخاطر نسقًا نافعًا لتحديد واستكشاف نظريات أعم حول هيئات المخاطر المعاصرة. وكما سيظهر لاحقًا، فإن نسق مجتمع المخاطر يظل خصبًا للتفكر به، حتى حين تخفق كثير من دعاويه التجريبية (يُنظر Curran, 2018a) .ويمكن ضرب قياس مماثل على نظرية "هوبز" السياسية، التي قلما تصدق في أي من دعواها التجريبية، على الرغم من كونها خصبة بشكل لا يصدق كنسق للفكر السياسي لقرون تلت نشر كتاب "الليفياثان" (1651) (يُنظر Macpherson, 1962 كمثال على ذلك).

ومن الأسئلة الرئيسة التي أثيرت حول مجتمع المخاطر لـ "بيك" هو كيف تؤثر سيرورات المخاطر الناشئة على أشكال التفاوت المعاصرة (see Scott, 2000; Elliott, 2002; Mythen, 2005; Atkinson, 2007; Curran, 2013; Olofsson et al., 2014; for responses, see Beck, 2007, 2010, 2013).

وليس القصد هنا إعادة فتح هذا السجال للدخول في نقد المواقف القائمة (انظر: Beck, 2013; Table 1). بل إن الغاية هي العودة إلى بعض حجج "بيك" المتعلقة بالديناميكيات الجديدة للمخاطر، وتقديم استكشاف لبعض العناصر الجوهرية في ديناميكيات المخاطر والسلطة التي غُفلت في السجال الأول، ومن ثم العمل نحو فهم أعمق لديناميكيات السياسة في أعقاب نشوء الأزمات.

ومن الثغرات الأساسية في تحليل "بيك" للتأثيرات التوزيعية للمخاطر، وهي ثغرة تؤثر أيضًا على إطاره النظري الاجتماعي الأعم، قلة اهتمامه بدور الدولة في التوسط في تأثيرات المخاطر بعد أن تتجسد في أضرار. فبينما أسهب "بيك" في الكتابة عن السياسة، وخاض في سياسات دولة الرفاه(Beck, 1992; part two) ، وفي كيفية تصدي "السياسة الفرعية" لمنابع إنتاج المخاطر (Beck, 1996, 1999)، وفي "سياسة مجتمع المخاطر" على وجه أعم (Beck, 1998)، فإنه لم يولِ اهتمامًا يذكر لكيفية توسط الدولة في تأثيرات المخاطر، متى ما تجلت في أضرار. ومن المسلم به أن معظم صياغات "بيك" النظرية الكبرى كانت قد اكتملت قبل أن تبرهن الأزمة المالية لعام 2008 على مدى انخراط دولة القرن الحادي والعشرين في توزيع المخاطر بعد الأزمات (انظر: Tooze, 2018). ونظرًا لمركزية السياسة في سيرورات المخاطر، وللطبيعة الانعكاسية للدولة في مواجهة هذه المخاطر، فإن دراسة التبعات الكاملة للأزمة تقتضي ليس فقط التحقيق في التأثيرات المباشرة لسيرورات المخاطر، بل أيضًا فحص متى وكيف تتدخل الدول لتحويل مسار تأثيرات الأزمات الأولية أو تبديدها أو إعادة توجيهها. وهذا لا يعني أن "بيك" يفتقر إلى الأدوات النظرية لمعالجة هذه القضايا، **بل إن** تركيزه على الآثار الجانبية المنهجية لاندماج السيرورات الاجتماعية والمادية، يجعل مقاربة مجتمع المخاطر قادرة على تقديم إسهامات مهمة في هذه القضايا. ومع ذلك، فإن التحول من دراسة تأثيرات الأضرار المباشرة من المخاطر المنتجة اجتماعيًا إلى تحديد العواقب الرئيسة الناشئة عن المخاطر وعن كيفية تصرف الدول للتوسط في هذه المخاطر، يقترح مراجعة لنظرية "بيك."

ولإعادة هذا النقاش النظري إلى مبتغاه الأول، كيف يتصل هذا التوسط المتزايد من قبل الدولة في تأثيرات المخاطر بالديناميكيات الخاصة بجائحة كوفيد-19؟ لقد كان للحجر الصحي العالمي الواسع[1] ولدعم الدولة للعمال وأرباب العمل من أجل سند الاقتصاد خلال فترة الحجر وما تلاها، حيث استمرت الحاجة إلى التباعد الاجتماعي في إعاقة الاقتصاد، تأثير هائل. فقد غيرت هذه الإجراءات بقوة شكل تبعات الجائحة العالمية من أزمة صحة عامة وأزمة اقتصادية محتملة إلى أزمة صحة عامة مخففة جزئيًا، وأزمة اقتصادية معدّلة، ولكنها لا تزال كبيرة، وأزمة دين عام مؤجلة ومحتملة. ومن خلال انخراط نقدي مع نظرية "بيك" حول مجتمع المخاطر العالمي والعولمة، أفحص في هذا الفصل كيف أن توسط الدولة في المخاطر الكارثية،

1- قُدِّر في فترة من الفترات أن ما يربو على نصف سكان المعمورة كانوا تحت وطأة قيود التباعد الاجتماعي (BBC, 2020).

وتحديدًا دعم الأسواق المالية في الاستجابة لجائحة كوفيد-19، يؤثر بشكل متزايد على دور الدولة. والحجة هنا هي أنه في حين أن العديد من ادعاءات "بيك" المحددة بشأن كيفية تقويض التدفقات العالمية المتزايدة للمخاطر للتأمين والدولة، وخلقها لمجتمعات عالمية من المخاطر، يغفل ديناميكيات أساسية للمخاطر والدولة في القرن الحادي والعشرين. وكما سيُحاجج هنا، فإن مقاربة مجتمع المخاطر العالمي لا تزال قادرة على أن تكون نموذجًا مثمرًا للغاية يمكن من خلاله تحليل هذه الديناميكيات الناشئة.

2- بيك حول عالمية المخاطر:

لم يتناول عمل أولريش بيك الكلاسيكي، مجتمع المخاطر (1992[1986])، على الرغم من استناده إلى الخطوط العريضة لمقاربة مجتمع المخاطر، مسألة كيف تؤثر عولمة المخاطر على ديناميكيات مجتمع المخاطر. بدأ توسيع عمله لمعالجة العولمة بشكل جدي في أواخر التسعينيات، خاصة مع نشر مجتمع المخاطر العالمي (1999). وهناك حاجج بأن "مجتمع المخاطر، إذا ما فُكر فيه مليًا، يعني مجتمع المخاطر العالمي. فمبدؤه المحوري، وتحدياته، هي أخطار تنتجها الحضارة لا يمكن تحديدها اجتماعيًا لا في الزمان ولا في المكان "(Beck, 1999: 19، التشديد مضاف).

يجادل بيك بأن الحداثة الثانية تولد عددًا متزايدًا من العمليات الاجتماعية التي "لا تبالي بالحدود الوطنية "(Beck, 2000: 80). ومع تزايد هذه العمليات، "يتسوق الناس دوليًا، ويعملون دوليًا، ويحبون دوليًا، ويتزوجون دوليًا، ويبحثون دوليًا، وينشئون ويتعلمون دوليًا (أي متعددي اللغات)، ويعيشون ويفكرون عبر الحدود الوطنية"، لكن علم الاجتماع، بانحيازه الإقليمي المتمثل في الاستمرار في التفكير من خلال الإطار المنهجي للدولة القومية، مذنب بتجاهل هذا الواقع والاستمرار في استخدام "نظرية الحاوية للمجتمع "(Beck, 2000: 80–81) .ونتيجة صعود "الحداثة الثانية" هي "نوع جديد من الرأسمالية، ونوع جديد من الاقتصاد، ونوع جديد من النظام العالمي، ونوع جديد من السياسة والقانون، ونوع جديد من المجتمع والحياة الشخصية"(Beck, 2000: 81).

ووفقًا لبيك، فإن الاستجابة الضرورية للعلوم الاجتماعية "لتحدي العولمة" هي التخلي عن فئاتها السابقة القائمة على القومية المنهجية وتطوير "أسس علم اجتماع وسياسة عالمي "(Beck, 2002: 52، التشديد في الأصل).

يجادل بيك بأنه مع نمو هذه المخاطر، "كلما كان التهديد الكوكبي أكبر، قلت إمكانية تجنبه حتى من قبل الأكثر ثراءً وقوة "(Beck, 2010: 175، التشديد في الأصل). ومراجعًا لمقولته السابقة، "الفقر هرمي، والضباب الدخاني ديمقراطي"، يعلن أن "تغير المناخ هرمي وديمقراطي على حد سواء "(Beck, 2010: 175، التشديد في الأصل). هذا الميل نحو اضمحلال عدم المساواة والتأكيد على الضعف العالمي يولد ما يسميه بيك "الحتمية العالمية: التعاون أو الفشل "(Beck, 2011a: 23، التشديد في الأصل). وعلى هذا النحو، كما نوقش أدناه، فإن "تحدي العولمة" بالنسبة لبيك يقوض "مبدأ الدولة القومية" في السياسة المعاصرة.

3- بيك حول عجز "المخاطر الجديدة" عن إدارتها بواسطة التأمين والدولة:

بالنسبة لبيك، تتجلى "المخاطر الجديدة" للحداثة الثانية في منطق يختلف جوهريًا عن منطق الحداثة الصناعية. فبينما كانت مخاطر الحداثة الصناعية تُفهم على أنها "شكوك قابلة للتحديد والحساب "(Beck, 1995: 77)، حاجج بيك بأنه في مواجهة المخاطر التي تنتجها الحداثة الثانية اجتماعيًا، "يفشل حساب المخاطر، الذي تؤسس عليه إدارة المخاطر عقلانيتها وضماناتها الأمنية، تبعًا لذلك "(Beck, 1995: 77). كان التأمين الخاص والحكومي "إجابات اجتماعية لتحدي انعدام الأمن الذي خلقته الحداثة في كل مجال من مجالات الحياة "(Beck, 1995: 107). أما في مجتمع المخاطر، فإن المخاطر تقوض "المنطق الاجتماعي لحساب المخاطر وتوفيرها"(Beck, 1995: 77). يتصور بيك مجتمع المخاطر على أنه يقوض "المفهوم الموجه تقنيًا للسلامة" وبالتالي يكشف "تناقضات دولة الأمن" (Beck, 1995: 106).

إن الآثار الجانبية المتزايدة للحداثة، وما يصاحبها من عجز عن التنبؤ بمخاطرها الكارثية المحتملة، لتفتك بالنسيج المؤسسي للاحتياط المحسوب فتكًا متزايدًا (Beck, 1995 [1988]: 107). وعلى هذا النحو، يغدو الافتقار إلى الاحتياط واستحالته قوة مزعزعة للاستقرار داخل المؤسسات، فتقوض "عقد التأمين" الذي ابتدعه المجتمع الحديث لاستيعاب انعدام الأمن الذي هو من صنع يديه، بل وتلغيه (Beck, 1995: 107; انظر أيضًا Rasborg, 2012). بل إن "بيك" يتخذ من اندحار هذه الأشكال السابقة للتأمين وحساب المخاطر معيارًا لبزوغ مجتمع المخاطر، فيقول: "إن الدخول إلى مجتمع المخاطر يحدث في اللحظة التي تقوض فيها المخاطر التي يقررها وينتجها المجتمع و/أو تلغي أنظمة السلامة القائمة لحسابات المخاطر في دولة العناية "(Beck, 1996: 31، التشديد في الأصل). ثم يطرح "بيك" بعد ذلك "معيارًا تشغيليًا" لمجتمع المخاطر، ألا وهو "غياب غطاء التأمين الخاص"(Beck, 1996: 31، التشديد في الأصل)[1]. وبالنسبة لبيك، تتجلى التناقضات السياسية لمجتمع المخاطر في التوتر القائم بين السعي المتزايد نحو الأمن والكيفية التي تولد بها السيرورات الاجتماعية انعدام أمن متزايدًا، إذ يقول: "مجتمع المخاطر هو مجتمع مكشوف، تتناقص فيه حماية التأمين مع تزايد حجم الخطر، ويقع هذا في البيئة التاريخية لـ'دولة العناية' التي تشمل جميع مجالات الحياة، والمجتمع الشامل تمامًا "(Beck, 1996: 37).

1- هذا التحول موصول عند "بيك" باندحار منطق العقلانية الأداتية جراء نجاحها في بسط سلطانها على الطبيعة (Beck, 1992: 32 ,1996: 22) .ولهذا التحليل وشائج قوية بتحليل "هوركهايمر" و"أدورنو" (1979[1944]) لـ "جدلية التنوير "(يُنظر Beck, 1996: 38). وللاطلاع على نقاش حول جدلية السيطرة والاستعصاء على السيطرة عند "بيك"، يُنظر Curran (2016a).

4- تقييم أطروحات ما بعد القومية وما بعد التأمين:

لقد حظيت كل من الأطروحتين، ما بعد القومية وما بعد التأمين، باهتمام نقدي كبير (انظر Chernilo, 2006; Campbell & Currie, 2006). ومع ذلك، على الرغم من القيود الكبيرة في سرد بيك لهذه العمليات والتبسيطات التي قدمها في رؤية مجموعة جديدة من العمليات تحل محل العملية السابقة بشكل مباشر (Chernilo, 2006: 11)، غالبًا ما يمكن استخلاص رؤى مهمة من عمل بيك، حتى لو فشلت ادعاءاته تجريبيًا (انظر أيضاCurran, 2018). في هذه الحالة، كما يجادل هذا الفصل، فإن استنتاج بيك الرئيسي بأن عالمية المخاطر تقوض سلطة الدولة يفشل تجريبيًا. ومع ذلك، يمكن استعادة العمليات الأساسية التي يحددها بيك وإمكاناتها التحويلية باعتبارها رؤية مهمة في معالجة التحولات في دور الدولة في ضوء كوفيد-19.

في هذه الحالة، على الرغم من القيود الكبيرة في ادعاءات بيك المحددة بشأن كيفية تجاوز التأمين الخاص والدولة القومية، إلا أن تحليل بيك سلط الضوء بشكل مهم على مجالات التحول الرئيسية للاستراتيجيات القائمة لإدارة الأمن من قبل المجتمعات في جميع أنحاء العالم. لقد سلط بيك الضوء على الطريقة التي كان بها التأمين والحد من عدم اليقين مهمة أساسية لدولة الحداثة الأولى، خاصة في ضوء المخاطر التي خلقها المجتمع الصناعي وكيف أن الشكوك المتزايدة للحداثة الثانية كانت تخلق مشاكل متزايدة للاستراتيجيات القائمة لإدارة هذه المخاطر (Beck, 1995, 1996). على وجه الخصوص، تلقت رؤية بيك بأنه من المتزايد أن لا تستطيع أي دولة عزل نفسها عن القوة المتنامية للمخاطر النظامية العالمية دعمًا قويًا في ضوء الأزمة المالية العالمية لعام 2008 والوباء العالمي الناجم عن كوفيد-19. ومع ذلك، فإن الخطأ الذي وقع فيه بيك على وجه الخصوص هو عدم الاعتراف بأن الطلب طويل الأمد والمتزايد على السلامة الذي سلط الضوء عليه (Beck, 1995, 1996)، حتى الآن، لم يؤد إلى ما توقعه، أي التغيير التحويلي للعمليات التكنولوجية-الاقتصادية التي تنتج المخاطر من حيث "إصلاح بيئي للرأسمالية "(Beck, 1996: 41). بل إن الرغبة في السلامة والأمن قد حُولت إلى سياسة أزمات، حيث تعمل الدولة على تنظيف الفوضى بعد ظهور المخاطر في أضرار كارثية محتملة، ولكنها لا تحاول معالجة الأسباب الكامنة وراء الأزمات.

وعلى هذا النحو، فإن ما يراه "بيك" من أن استقلالية الدولة قد باتت محدودة في بعض جوانبها بفعل الأهمية المتنامية لتدفقات المخاطر العالمية، لا يفضي، على عكس ما ذهب إليه، إلى عالم أكثر تعاونًا وتعددية (Beck, 2005, 2011b). بل إن الاستجابات لتدفقات المخاطر هذه قد أفضت إلى مجموعة جديدة من الوظائف للدولة القومية، ولم تؤدِ إلى تراجع أهميتها. فمع استمرار وجود الدولة القومية بوصفها الحامل التنظيمي الرئيس للشرعية الديمقراطية، ومع ما تواجهه شرعية العديد من المنظمات الدولية من تحديات مختلفة على مدى العقدين الماضيين، فإن الطلب المستمر والمتزايد على الأمن كشرط للشرعية قد جعل البعد التأميني للدولة القومية يزداد أهمية. من هنا، فإن ما يكشفه "بيك" بقوة، وهو قصور الأشكال الكينزية والرأسمالية الصناعية عن توفير تأمين دولة الرفاه (انظر: Jessop, 2002)، لا يؤدي إلى ما ادعاه

من تضاؤل هذه الوظيفة للدولة (Beck, 1995, 1996)، وإنما يفضي إلى تضخيم هائل لدورها في إدارة الأمن بمجرد أن تطل المخاطر برأسها.

ومع ذلك، هذا لا يعني ببساطة أن بيك كان مخطئًا بشأن الدولة. هذا الامتداد لمبدأ التأمين الذي نراه يتجلى يظهر بعض التغييرات الهامة جدًا في منطق الحماية التي يسلط بيك الضوء عليها بشكل مهم. بهذه الطريقة، يوفر تحليل بيك وسيلة للتفكير في كيفية تغير الدولة في مواجهة تحول ملامح المخاطر في مجتمعات الحداثة الثانية. تصور بيك تحولًا أكثر جذرية للمجتمع عبر السياسة الفرعية، وهي سياسة تتجاوز السياسة المؤسسية، لتقويض الأسباب الكامنة وراء الإنتاج الاجتماعي المفرط للمخاطر (Beck, 1999)[1]. بينما كان هناك انتشار للحركات الاجتماعية الجديدة، ليس أقلها حول تغير المناخ، هناك قيود كبيرة في تحليل بيك للتاريخ والسياسة أعاقت قدرته على تحديد المسار الأكثر ترجيحًا لإنتاج المخاطر المجتمعية[2].

بيد أن "بيك" كان على صواب في أن ضغطًا جسيمًا ما انفك يتنامى طلبًا للأمن، على الرغم من المصاعب المتعاظمة في بلوغ هذا المأرب في مواجهة المخاطر العالمية المتنامية. ويصدق هذا الأمر أيما صدق في ضوء تحليل "هابرماس" (1975) لأزمة الشرعية المتفاقمة التي تواجهها الدول، إذ تُحمَّل بشكل متزايد مسؤولية الإخفاقات الناجمة عن تناقضات الرأسمالية السوقية. وفي خضم بوتقة التوتر هذه، بين دولة عاجزة عن تحويل محيطها لتوليد شروط الأمن[3] والطلب المتزايد على الأمن الذي سعت إلى تلبيته تشكيلات مستحدثة للدولة، كان "بيك" مصيبًا إلى حد بعيد في قوله إن هذه التشكيلات الجديدة لا تتبع منطق التأمين، فهي لا تميل إلى توفير حماية استباقية للمخاطر القابلة للتنبؤ والتحديد، بل تنزع إلى الظهور على نحو مجتزأ بعد أن تكون الأزمة قد حلت. وبناء على ذلك، فإن الحجة هنا هي أن "بيك" مخطئ بشأن أفول مركزية الدولة، لكن التحول الذي يطرأ على الدولة إنما تحركه في الحقيقة سيرورة كان "بيك" قد حددها وأبرزها، وهي العجز المتنامي للتأمين الخاص والعام عن التصدي لمخاطر الحداثة الثانية. وإن ما تعنيه هذه التحولات في الدولة والحوكمة والمخاطر للديمقراطية، لمن المرجح أن يكون أقل تفاؤلاً بكثير من تحليل "بيك" لسيناريو الحالة المثلى للطبيعة الكوسموبوليتانية المتنامية للديمقراطية[4]. ويتناول القسم التالي إحدى الطرق التي تحول بها دور الدولة في ضوء التحديات الناجمة عن الجائحة العالمية، وهي المدى الذي تصرفت فيه الدول

1- مع أنه تجدر الإشارة إلى أنه في أعماله اللاحقة، تحول "بيك" بشكل متزايد نحو التأكيد على تزايد اللايقين ونمو اللا-معرفة داخل المجتمع، وبالتالي الإقرار المحتمل بوجود عوارض أكبر في أي تنبؤات اجتماعية (Beck, 2009).

2- إن سبب إخفاق "بيك" حتى الآن في توقع تحولات المجتمع نحو إنهاء الإنتاج المفرط للمخاطر هو سؤال جدير بالبحث، ولكنه لا يمكن التصدي له هنا. وللاطلاع على تحليل أولي لبعض الثغرات ذات الصلة، بما في ذلك إغفال "بيك" لكيفية استمرار بعض الفئات في الاستفادة بشكل منهجي من إنتاج المخاطر المفرط، فضلاً عن استمرار اعتماد "بيك" على نموذج ماركسي للتحول التاريخي، يُنظر Curran (2016a, 2016b).

3- هذا مثال على الإبهام الذي يكتنف تحليل "بيك" فيما يتعلق بتقلبه المستمر بين المستقبل كما هو كائن والمستقبل كما ينبغي أن يكون. وفي بعض الحالات، لا يتضح تمامًا ما إذا كان "بيك" يجادل بأن الدولة القومية مآلها إلى أن تصبح أقل أهمية، أو أنه ينبغي لها ذلك، وأن تحول الكثير من سلطاتها في اتخاذ القرار إلى منظمات دولية.

4- وتجدر الإشارة إلى أن "بيك" قد صاغ أيضًا روايات أقل تفاؤلاً تسمح بوجود حدود للعولمة (انظر Beck, 2005, 2009).

لدعم الأسواق المالية المحلية. وبهذه الطريقة، وبدون نقاش أو مداولة صريحة، وسعت الدولة بشكل هائل دورها في دعم تراكم الثروة من خلال الأسواق المالية. وتجدر الإشارة، مع ذلك، إلى أن هذا لا يعني أن "بيك" كان سينكر هذه العواقب، حيث أن عمله غالبًا ما كان يتناول ما أسماه "فيبر" "مفارقة العواقب "(انظر Beck, 1992؛ وانظر أيضًا Giddens, 1971: 132).

5- مجتمع المخاطر: رأسمالية جديدة ودولة جديدة:

لقد حدد العديد من منتقدي "بيك" بحق القيود في تركيزه المفرط على التحول (Scott, 2000; Chernilo, 2006; Mythen, 2005; Savage, 2009; Atkinson, 2007)؛ ومع ذلك، غالبًا ما يخفي إنكار الكثافة المحددة للتحول الذي يدعيه "بيك" التحولات الحقيقية والهامة التي يمكن أن يساعد مجتمع المخاطر كنهج للحياة الاجتماعية والطبيعية في تحديدها (see Curran, 2013; Beck, 2013). وبهذه الطريقة، يمكن أن يكون ادعاء "بيك" بأن مجتمع المخاطر يولد رأسمالية جديدة ونوعًا جديدًا من الدولة صحيحًا، حتى لو أغفلت ادعاءاته المحددة حول طبيعة الدولة والرأسمالية نقاط الاستمرارية والجوانب الرئيسية لتكويناتها المعاصرة[1].

مع ظهور كوفيد-19 على مدار الشهرين ونصف الشهر الأولين من عام 2020 وتوضح التداعيات الاقتصادية المحتملة، أصبحت قوة الوباء والحجر الصحي اللاحق في تحويل مساحات شاسعة من الحياة الاجتماعية واضحة بشكل متزايد. لقد خلقت الطبيعة غير المتوقعة لوباء عالمي، على الرغم من التحذيرات المشروعة بشأن هذه المخاطر (انظر Goldin & Mariathasan, 2014)، سلسلة من التحديات الاقتصادية التي كانت غير مسبوقة في كثير من النواحي. استجابت الحكومات في جميع أنحاء العالم بمزيج من الحوافز الاقتصادية، ودعم الأجور، وتدخل البنك المركزي. تشهد العديد من البلدان في جميع أنحاء العالم عجزًا أكبر من أي عجز منذ الحرب العالمية الثانية، حيث يقدر عجز المملكة المتحدة بـ 350 مليار جنيه إسترليني لهذا العام (IFS in Giles, 2020) .وبالمثل، يقدر أن العجز الأمريكي سيتضاعف ثلاث مرات هذا العام ليصل إلى 3.3 تريليون دولار، وهو ما يمثل أعلى نسبة من الناتج المحلي الإجمالي منذ الحرب العالمية الثانية (Mejdrich, 2020). علاوة على ذلك، فإن تدخل البنوك المركزية في الأسواق المالية أمر استثنائي بشكل خاص[2].

واستجابةً للمخاوف المتزايدة بشأن كوفيد-19 وما قد يترتب عليها من تأثيرات اقتصادية متتالية، شهدت أسواق الأسهم في جميع أنحاء العالم انخفاضات كبيرة في قيمتها من أواخر شهر فبراير حتى أواخر شهر مارس. وفي الولايات المتحدة، توقفت موجة صعود طويلة الأمد في سوق الأسهم فجأة بسبب المخاوف المتصاعدة من كوفيد-19 في فبراير من عام 2020. فقد وصل مؤشر S&P 500 إلى أعلى مستوى له في التاسع

1- مع أن "بيك" أغفل في كثير من الأحيان خصوصيات الرأسمالية كنظام اقتصادي (انظر أيضا Benton, 1997).
2- للاطلاع على نقاش مبكر حول كيف أن الدولة تخدم بشكل متزايد كـ"مدير للمخاطر" بل وفي الحقيقة كـ "ملاذ أخير للتأمين"، يُنظر Moss (2004).

عشر من فبراير عام 2020 (WSJ, 2020a)[1]. ثم شهد المؤشر انخفاضًا في قيمته بنسبة 33.9% بين ذروته في 19 فبراير 2020 وأدنى نقطة له في 23 مارس (WSJ, 2020a). وخلال الشهر الفاصل بين هذين التاريخين، كان السوق شديد التقلب، إذ فقد مؤشر S&P 500 نسبة 9.5% من قيمته في يوم واحد (12 مارس)، ثم استعاد 9.3% من قيمته في اليوم التالي (13 مارس)، ليخسر بعد ذلك 12.0% أخرى من قيمته في يوم العمل الذي يليه (الاثنين 16 مارس) (WSJ, 2020a). وبالمثل، تراجعت الأسهم الأوروبية بشكل كبير في أواخر فبراير حتى أواخر مارس. فقد انخفض مؤشر STOXX 600 بنسبة 33.6% بين 19 فبراير و18 مارس (WSJ, 2020b)[2]. وعلى الرغم من أن تقلبات المؤشر لم تكن بنفس الحدة التي شهدها سوق الأسهم الأمريكية، إلا أن المؤشر انخفض بنسبة 11.4% في يوم واحد (12 مارس) وهو نفس يوم الانخفاض الهائل الأول لسوق الأسهم الأمريكية، مما يعيد تسليط الضوء على أهمية الترابطات المالية العالمية (WSJ, 2020b). وعلى الرغم من فترة زمنية أطول، شهد مؤشر FTSE 100 أيضًا انخفاضًا كبيرًا، حيث انخفض بنسبة 34.7% من ذروته (20 يناير 2020) إلى أدنى مستوى له (23 مارس 2020)(WSJ, 2020c))[3]. وبالمثل، شهد يوم 12 مارس خسائر فادحة، مع انخفاض بنسبة 12.2% في مؤشر FTSE 100 (WSJ, 2020c).

أدت هذه الانخفاضات الهائلة في قيمة أسواق الأسهم إلى سلسلة من الإجراءات الطارئة لمنع المزيد من الخسائر. وبينما تم السعي إلى الحوافز الاقتصادية، كان السبب المباشر للانتعاش في أسواق الأسهم هو التدخل الهائل وغير المسبوق في كثير من الحالات من قبل البنوك المركزية في الاقتصاد.

6- الخاتمة:

لقد فحصت في هذا الفصل المدى الذي يمكن أن تساعدنا فيه نظرية بيك لمجتمع المخاطر العالمي والعولمة على فهم بعض تحولات الدولة المرتبطة بظهور كوفيد-19 كجائحة عالمية. وبالنظر تحديدًا إلى تدخلات البنوك المركزية الكبرى لدعم الأسواق المالية، نرى نمطًا من التدخل الضخم، وإن كان مخصصًا، في الاقتصاد يشبه إلى حد كبير نوع الإجراءات التي اتخذتها الدولة لاستعادة الأسواق المالية بعد أزمة عام 2008 (انظر أيضا Tooze, 2018). بناءً على تركيز بيك على التسييس المتزايد للمخاطر، يسلط هذا الفصل الضوء على الحاجة المتزايدة للدولة للتوسط في تأثيرات المخاطر. ومع ذلك، على عكس مقاربات الحداثة الأولى للمخاطر التي سعت إلى السيطرة على المخاطر من خلال عقلانيات تنبؤية عقلانية، فإن حوكمة المخاطر تتحول إلى نهج يستجيب بطريقة أكثر عشوائية وتدريجية للتخفيف من الخسائر بعد وقوع الأزمة.

وهكذا، فإن بيك على حق بقدر ما ادعى أن قدرة الدولة القومية على السيطرة الفعالة على البيئة التي تنشأ فيها المخاطر آخذة في التدهور المستمر. ومع ذلك، على عكس بيك، يستمر الدور المقابل للدولة في إدارة المخاطر والتعويض عنها في النمو في نواح كثيرة. وبين عدم القدرة على تحويل بيئتها المحيطة للتخفيف

1- مؤشر S&P 500 هو مؤشر مرجح بالقيمة السوقية لأكبر 500 شركة في البورصات المدرجة في الولايات المتحدة.

2- مؤشر STOXX Europe 600 هو مؤشر للأسهم الأوروبية من 17 دولة أوروبية، بما في ذلك المملكة المتحدة.

3- مؤشر FTSE 100 هو مؤشر لأسهم أكبر مئة شركة من حيث القيمة السوقية في المملكة المتحدة

من المخاطر بشكل منهجي من ناحية، والطلب الديمقراطي المتزايد باستمرار على الأمن من ناحية أخرى، نرى تحولات كبيرة في دور الدولة. ما بدأ كأزمة صحية عالمية محتملة تسبب بالتالي في سلسلة من التغييرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتتالية. وبينما يطرح التنبؤ بمستقبل الدولة تحديات كبيرة، فإن الانخراط النقدي مع عمل بيك يقترح مسارات جديدة للبحث المستقبلي حول تحول الدولة في ضوء التحديات المستمرة لمجتمع المخاطر العالمي.

المراجع المعتمدة:

1- Amaro, S. (2020). European Central Bank takes its pandemic bond buying to 1.35 trillion euros to try to prop up economy. *CNBC News*, June 4. https://www.cnbc.com/2020/06/04/european-central-bank-ramps-up-its-pandemic-bond-buying-to-1point35-trillion-euros.html

2- Atkinson, W. (2007). Beck, individualization and the death of class: A critique. *British Journal of Sociology*, 58(3), 349–366.

3- Banerji, G. (2020). Why is the stock market rallying when the economy is so bad? *Wall Street Journal*, May 8. https://www.wsj.com/articles/why-is-the-stock-market-rallying-when-the-economy-is-so-bad-11588974327

4- BBC News. (2020). Live reporting, April 18. https://www.bbc.com/news/live/world-52336209

5- Beck, U. (1992). *Risk society: Towards a new modernity*. Sage.

6- Beck, U. (1995). *Ecological politics in an age of risk*. Polity Press.

7- Beck, U. (1996). Risk society and the provident state. In B. Szerszinski, S. Lash, & B. Wynne (Eds.), *Risk, environment and modernity: Towards a new ecology* (pp. 27–43). Sage.

8- Beck, U. (1998). Politics of risk society. In J. Franklin (Ed.), *The politics of risk society*. Polity.

9- Beck, U. (1999). *World risk society*. Polity.

10- Beck, U. (2000). The cosmopolitan perspective: Sociology of the second age of modernity. *British Journal of Sociology*, 51(1), 79–105.

11- Beck, U. (2002). The terrorist threat: World risk society revisited. *Theory, Culture & Society*, 19(4), 39–55.

12- Beck, U. (2005). *Power in the global age: A new global political economy*. Polity.

13- Beck, U. (2007). Beyond class and nation: Reframing social inequalities in a globalizing world. *British Journal of Sociology*, 58(4), 679–705.

14- Beck, U. (2009). *World at Risk*. Polity.

15- Beck, U. (2010). Remapping social inequalities in an age of climate change. *Global Networks*, 10(2), 165–181.

16- Beck, U. (2011a). We do not live in an age of cosmopolitanism but in the age of cosmopolitanisation: The 'global other' is in our midst. *Irish Journal of Sociology*, 19(1), 16–34.

17- Beck, U. (2011b). Cosmopolitanism as imagined communities of global risk. *American Behavioral Scientist*, 55(10), 1346–1361.

18- Beck, U. (2013). Why "class" is too soft a category to capture the explosiveness of social inequality at the beginning of the 21st century. *British Journal of Sociology*, 64(1), 63–74.

19- Belz, S., Cheng, J., Wessel, D., Gros, D., & Capolongo, A. (2020). What's the ECB doing in response to the COVID-19 crisis? *Brookings Report*, June 4. https://www.brookings.edu/research/whats-the-ecb-doing-in-response-to-the-covid-19-crisis/

20- Benton, T. (1997). Beyond left and right: Ecological politics, capitalism, and modernity. *Political Quarterly*, 68(B), 34–46.

21- Campbell, S., & Currie, G. (2006). Against Beck: In defence of risk analysis. *Philosophy of the Social Sciences*, 36(2), 149–172.

22- Chernilo, D. (2006). Social theory's methodological nationalism: Myth and reality. *European Journal of Social Theory*, 9(1), 5–22.

23- Curran, D. (2013). Risk society and the distribution of bads: Theorizing class in the risk society. *British Journal of Sociology*, 64(1), 44–62.

24- Curran, D. (2016a). *Risk, power, and inequality in the 21st century*. Palgrave Macmillan.

25- Curran, D. (2016b). Risk society and Marxism: Beyond simple antagonism. *Journal of Classical Sociology*, 16(3), 280–296.

26- Curran, D. (2018a). Beck's creative challenge to class analysis: From the rejection of class to the discovery of risk-class. *Journal of Risk Research*, 21(1), 29–40.

27- Economist. (2020). Governments must beware the lure of free money. *Economist*, July 23. https://www.economist.com/leaders/2020/07/23/governments-must-beware-the-lure-of-free-money

28- Elliott, A. (2002). Beck's sociology of risk: A critical assessment. *Sociology*, 36(2), 293–315.

29- Giddens, A. (1971). *Capitalism and modern social theory: An analysis of the writings of Marx, Durkheim and Max Weber*. Cambridge University Press.

30- Giddens, A. (1990). *Consequences of Modernity*. Stanford University Press.

31- Giles, C. (2020). IFS warns of tax rise 'reckoning' to cover bill for pandemic. *Financial Times*, p. 3.

32- Giritli Nygren, K., & Olofsson, A. (2020). Managing the Covid-19 pandemic through individual responsibility: The consequences of a world risk society and enhanced ethopolitics. *Journal of Risk Research*. https://doi.org/10.1080/13669877.2020.1756382

33- Goldin, I., & Mariathasan, M. (2014). *Butterfly defect: How globalization creates systemic risks, and what to do about it*. Princeton University Press.

34- Habermas, J. (1975). *Legitimation crisis*. Beacon Press.

35- Horkheimer, M., & Adorno, T. (1979 [1944]). *Dialectic of enlightenment*. Verso.

36- Hudson, M. (2020). How an "Act of God" pandemic is destroying the west. August 31. https://michael-hudson.com/2020/08/how-an-act-of-god-pandemic-is-destroying-the-west/

37- Jessop, B. (2002). *Future of the capitalist state*. Polity.

38- Kuper, S. (2020). Post-Covid politics: A long way to fall. *FT Magazine*, September 19/20, p. 5.

39- Lakatos, I. (1970). Falsification and the methodology of scientific research programmes. In I. Lakatos & A. Musgrave (Eds.), *Criticism and the growth of knowledge* (pp. 91–196). Cambridge University Press.

40- Macpherson, C. B. (1962). *The political theory of possessive individualism: Hobbes to Locke*. Oxford University Press.

41- Mejdrich, K. (2020). U.S. deficit triples in 2020 to highest percentage of GDP since WWII. *Politico*, September 2. https://www.politico.com/news/2020/09/02/us-deficit-triples-2020-407798

42- Moss, D. A. (2004). *When all else fails: Government as the ultimate risk manager*. Harvard University Press.

43- Mythen, G. (2005). From goods to bads? Revisiting the political economy of risk. *Sociological Research Online*, 10(3) www.socresonline.org.uk/10/3/mythen.html

44- Olofsson, A., Zinn, J. O., Griffin, G., Giritli Nygren, K., Cebulla, A., & Hannah-Moffat, K. (2014). The mutual constitution of risk and inequalities: Intersectional risk theory. *Health, Risk & Society*, 16(5), 417–430.

45- Popper, K. (2002). *Conjectures and refutations: The growth of scientific knowledge*. Routledge.

46- Rasborg, K. (2012). "(World) risk society" or "new rationalities of risk"? A critical discussion of Ulrich Beck's theory of reflexive modernity. *Thesis Eleven*, 108(1), 3–25.

47- Savage, M. (2009). Contemporary sociology and the challenge of descriptive assemblage. *European Journal of Social Theory*, 12(1), 155–174.

48- Scott, A. (2000). Risk society or angst society? Two views of risk, consciousness and community. In B. Adam, U. Beck, & J. van Loon (Eds.), *The risk society and beyond: Critical issues for social theory*. Sage.

49- Strauss, D. (2020). Pandemic knocks tenth off incomes of workers worldwide. *Financial Times*, September 24, p. 8.

50- Tett, G. (2020). Equity investors should cheer low rates. *Financial Times*, September 17, p. 23.

51- Timiraos, N. (2020a). Fed ramps up bond buying, indicating much larger purchases are likely. *Wall Street Journal*, March 19. https://www.wsj.com/articles/federal-reserve-establishes-currency-swap-lines-with-nine-more-countries-11584623004

52- Timiraos, N. (2020b). Federal reserve ramps up deliberations on asset purchases, rate guidance. *Wall Street Journal*, May 29. https://www.wsj.com/articles/federal-reserve-ramps-up-deliberations-on-asset-purchases-rate-guidance-11590744601

53- Timiraos, N. (2020c). Why growth in the fed's asset portfolio has paused. *Wall Street Journal*, July 26. https://www.wsj.com/articles/why-growth-in-the-feds-asset-portfolio-has-paused-11595772001?cx_testId=3&cx_testVariant=cx_2&cx_artPos=0#cxrecs_s

54- Timiraos, N. (2020d). Fed unveils major expansion of market intervention. *Wall Street Journal*, March 23. https://www.wsj.com/articles/federal-reserve-announces-major-expansion-of-market-supports-11584964844

55- Tooze, A. (2018). *Crashed: How a decade of financial crises changed the world*. Viking.

56- Tooze, A. (2020). The sociologist who could save us from coronavirus. *Foreign Policy*, August 1. https://foreignpolicy.com/2020/08/01/the-sociologist-who-could-save-us-from-coronavirus/

57- Waldmeir, P. (2020). Pandemic ushers in new era of hunger in the US. *Financial Times*, September 22, p. 20.

58- Ward, K. (2020). Don't fight the Fed but don't rely on it either. *Financial Times*, July 7, p. 12.

59- WSJ. (2020a). S&P 500 Index. *Wall Street Journal Markets*. https://www.wsj.com/market-data/quotes/index/SPX/historical-prices

60- WSJ. (2020b). STOXX Europe 600 Index. *Wall Street Journal Markets*. https://www.wsj.com/market-data/quotes/index/XX/SXXP

61- WSJ. (2020c). FTSE 100 Index. *Wall Street Journal Markets*. https://www.wsj.com/market-data/quotes/index/UK/UKX/historical-prices